

المقاومة العربية للصهيونية

أواخر العهد العثماني (١٩٠٨ - ١٩١٧)

الاتجاهات الرئيسية

د. غبرية قاسية

جامعة دمشق

أولا : مقدمة :

لم تشكل فلسطين خلال العهد العثماني وحدة إدارية أو جغرافية تميزها عن سورية ، وهي المنطقة التي عرفتها الجغرافية العربية باسم الشام أو بر الشام (١) ، إلا أن الإحساس بخطر الغزو الصهيوني كان عاملا أساسيا على توضيح مفهوم فلسطين ذي الجذور الدينية التاريخية وتوحيد عرب فلسطين في مناطقهم المختلفة ، وإبراز الشخصية الفلسطينية خلال السنوات الأخيرة من العهد العثماني .

وكانت فلسطين قد شهدت منذ الربع الأخير للقرن التاسع عشر تدفق مجموعات صغيرة من أوربا الشرقية من أفراد حركة « أحباء صهيون » ليس بدافع التقاليد الدينية بل بدعوى أن فلسطين هي وطن للشعب اليهودي ، هدفهم خلق جماعة متميزة عما حولها باللغة والثقافة وأسلوب الحياة ، وأخذت بالقيام بتجارب عملية لاستيطان زراعي حديث . وترسم طلائع هذه الحركة التي وصلت فلسطين عام ١٨٨٢ بداية الصهيونية الحديثة (٢) .

وقد طوّرت هذه الحركة على يد هرزل الصحفي اليهودي النمساوي الذي عمل على خلق صهيونية جديدة في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر في غرب أوربة فكرت بأساليب سياسية للحصول على فلسطين ذاتيا (وهو ما اصطُح على تسميته بالوطن القومي) عن طريق وثيقة من السلطان مضمونة دوليا والتي عرفت « ببرنامج بازل » (٣) . والتقت تلك الأفكار مع ظروف دولية مواتية كان مصلحتها زرع استيطان يهودي في فلسطين ، وبدأت الحركة الصهيونية وجها آخر من الغزو الأوربي للمشرق العربي (٤) .

ولكن مناورات هرزل الدبلوماسية وجهود المنظمة الصهيونية التي انشأها والمؤسسات التابعة لها بمواردها الضخمة ، اثبتا فشلها لضمان اساس قانوني للهجرة وللإستييطان اليهوديين (٥) ، فقد كانت تقف أمام المشروع الصهيوني عقبات كثيرة : اذ ان فلسطين هي الارض المقدسة للديانات الثلاث ، ولا يمكن للحكومة العثمانية ان تقبل بفصلها عن الدولة العثمانية ، كما ان السلطان كان يحجم عن اضافة « مسألة يهودية » الى التنافسات العرقية والدينية المتعددة التي تكتنف الإمبراطورية . لو اتي مزيد من القوميات الاجنبية المتمتعة بالامتيازات ، وكان على استعداد لان يستوطن اليهود في اي مكان غير فلسطين ودون حقوق خاصة ، ولم يكن هذا هو « الحل الصهيوني » الذي تصوره هرزل . ورفض السلطان ان يمنح اليهود ميثاقا حتى مقابل الملايين وأعلن بوضوح عن رفضه لبيع فلسطين (٦) .

والواقع ان الحكومة العثمانية كانت قد تحققت من خطر استيطان اليهود الاجانب باعداد كبيرة في فلسطين منذ بداية الهجرة اليهودية (٧) ، وصدرت الاوامر الاولى من اجل منع تدفق الهجرة اليهودية عام ١٨٨٧ ، وظلت هذه الاوامر تتكرر دوما بتعديل طفيف) ، وهي تنص على السماح لليهود بالدخول الى البلاد كحجاج أو زوار ، ويدفع كل يهودي مبلغ خمسين ليرة تركية كتعهد بأن يغادر فلسطين خلال ٣١ يوما . وربما كان تزايد القلق بشأن الاستيطان اليهودي هو الذي دفع السلطان عام ١٨٨٧ الى جعل القدس سنجقا مستقلا عن ولاية دمشق ، وله اتصال مباشر بالباب العالي (٨) . وفي عام ١٨٩٩ صدرت قوانين جديدة سمح بموجبها لكل يهودي بالاقامة ٣ شهور على ان يسلم جواز سفره عند نزوله الى موانئ ولاية بيروت أو متصرفية القدس ، ويتسلم بدلا منه تذكرة حمراء « تذكر فيها المهنة والجنسية وسبب الرحلة » ، وعند انتهاء الاشهر الثلاثة تقوم السلطات المحلية بترحيل اليهود عن طريق الهيئات القنصلية الاجنبية . وفي الحقيقة لم يكن للسلطات العثمانية منذ البداية صلاحية طرد الرعايا الاجانب اليهود لتمتعهم بنظام الامتيازات ، كذلك حاول المهاجرون اليهود تأمين الدخول بتفاضي السلطات المحلية (٩) . مع ذلك فالقيود العثمانية كانت تعوق المشروع الصهيوني . حتى ان الحركة الصهيونية قبل زوال نظام السلطان عبد الحميد كانت قد يئست من تحقيق برنامجها نتيجة لصعوبات سياسية بالغة ، وحوّل هرزل نظاره عن فلسطين ، وانشقت فئة كبيرة عن الحركة الصهيونية اتبدا عملية تطواف في العالم بحثا عن مكان يشكل فيه اليهود كيانا سياسيا خاصا بهم (١٠) .

وكانت المعارضة العربية للصهيونية هي الظاهرة الهامة التي واجهت اليهود المهاجرين الى فلسطين ، فقد اثار الاستيطان اليهودي منذ بداياته الاولى مشاعر التخوف لدى عرب فلسطين بسبب الظواهر الجديدة التي حملها المهاجرون في تسلمهم

نحو فلسطين والتي خرقت طريقة الحياة التقليدية التي تعيشها الطائفة اليهودية القديمة في فلسطين ، التي تسكن المدن وتنصرف الى امورها الدينية وتعيش على الاحسان او على بعض الحرف البسيطة .

وجاءت ردود الفعل العربية لهذا التغفل الصهيوني مبكرة رغم انها كانت متقطعة ولم تتخذ طابعا سياسيا ، وقد خلق الاستيطان اليهودي فرصا واسعة للنزاع بين المستوطنين الجدد والفلاحين العرب الذين لمسوا بشكل مباشر المساوىء التي رافقت عملية الاستيطان والتي هددت معيشتهم ، وهذا ما دفعهم الى شن الهجوم المسلح المتواصل على المستوطنات (١١) . ومع موجات الهجرة المتدفقة اتخذت المعارضة شكلا واعيا لابعاد خطر المشروع الصهيوني الذي يحل القادمين الجدد محل اهل البلاد بعد ان يجردوهم من املاكهم . وفي عام ١٨٩١ رفع بعض وجهاء القدس عريضة الى السلطات العثمانية طالبوا فيها بمنع الهجرة وشراء الاراضي منعا باتا (١٢) . وتعتبر العريضة اول عمل عربي منظم ضد الهجرة والاستيطان اليهوديين ، وقد تكون احد الاسباب التي دفعت الاستانة الى تشديد قيودها على الهجرة وشراء الاراضي من قبل اليهود .

وانثار عقد المؤتمر الصهيوني الاول ١٨٩٧ اهتمام الراي العام العربي (١٣) ونبه الشيخ رشيد رضا على صفحات المنار أبناء بلاده الى الخطر الصهيوني الذي يعمل على استعمار بلادهم والحد من حرية اوطانهم ودعاهم الى التفكير في المسألة ودرسها (١٤) . وعبر نجيب عزوري في مقدمة كتابه « يقظة الامة العربية » (١٥) عن المظاهر السياسية لمطامع القوميين اليهود ، ونبه الى الخطر الصهيوني وتوقع صراعا محتملا بين يقظة الامة العربية والجهد الكامن لدى اليهود لاعادة بناء مملكة «اسرائيل» .

ثانيا : العوامل الجديدة في تطور حركة المقاومة العربية للصهيونية

١٩٠٨ - ١٩١٤ :

وافق تبدل النظام السياسي في الدولة العثمانية وتولي جماعة تركيا الفتاة السلطة ١٩٠٨ تغيرات بعيدة المدى كان من بينها زيادة حدة المقاومة العربية للصهيونية بعد ان كانت البذور قد غرست قبل ذلك بسنوات . ويعود ذلك الى عدة عوامل : تساهل الحكم الجديد مع الحركة الصهيونية داخل فلسطين وخارجها ، ظهور الصحافة العربية في الاجزاء العربية من آسيا وخاصة في فلسطين ، وعودة النظام البرلماني ، واخيرا سعي الحركة العربية للحصول على حقوق العرب القومية داخل اطار الدولة العثمانية .

١ - تساهل الحكم الجديد مع الصهيونيين :

قدم تغير النظام السياسي في الدولة العثمانية آملا جديدة للصهيونية ، بعد أن واجهت عقبات بالغة في العهد السابق (١٦) . ولكن وصول الاتحاديين للسلطة ومساهمة فئات من اليهود العثمانيين والدونمة* في أحداث الانقلاب السياسي (١٧) ثم حاجة الدولة للأموال اليهودية (١٨) ، أدت الى تساهل السلطات العثمانية في تطبيق القيود السابقة على الهجرة واستملاك الاراضي ، ودفع العمل الصهيوني في فلسطين خطوات الى الامام . ورغم أن الخط الصهيوني الجديد بدأ يتخذ اتجاها جديدا من الدعاية تحت ستار الولاء للعثمانية ، والعمل لمنفعة الدولة ونفي الهدف السياسي (١٩) ، ولكن هذا لم يمنع من أن يظل الهدف الاصلي لمشروع هرزل بانشاء الوطن القومي كامنا في خلفية اذهان الصهيونيين (٢٠) . واستمروا في البحث عن ضمانات دولية وكسب الدول جميعها كعامل ضغط على الدولة العثمانية بهدف ازالة العقبات التي تعرقل ولا تمنع العمل الصهيوني والمتعلقة بقوانين الهجرة وامتلاك الارض ، ثم الحصول على امتيازات وتنازلات جديدة (٢١) ، بحيث أنه حين نشبت الحرب العالمية الاولى كانت هناك أكثر من ٤٠ مستوطنة تملك ما يقدر ب ٤٠٠.٠٠٠ دونم من أحسن الاراضي في فلسطين ، في الجليل ومرج بن عامر وسهل سارونة (٢٢) .

ومع كل ما أبدته الحكومة العثمانية من عطف فقد ظل موقفها حذرا اذ كانت الصهيونية تمثل مفتاح التدخل الاجنبي والاطماع السياسية ، ، ولم يرق الحكم الجديد الا بحجة انقاذ الدولة من هذه الاطماع . وكان يزيد من تردد الحكم الجديد في دعم النشاط الصهيوني بشكل مفتوح عامل آخر هو العداء العربي للتغلغل الصهيوني ، اذ كان لا يمكن للدولة العثمانية أن تتجاهل الراي العام العربي الذي اصبح له وزنه في اعقاب التغييرات السياسية (٢٣) .

ب - الصحافة العربية في فلسطين وخارجها :

استفادت الصحافة العربية من الحرية التي منحت بعد ١٩٠٨ ولعبت صحف فلسطين دورا هاما في تنبيه الراي العام للخطر الصهيوني الذي يهدد حياة الفلاحين

* الدونمة هم جماعة من اليهود التستريين من اتباع شبتاي زيفي وهو يهودي من سمرنا ادعى ١٦٦٦ انه المسيح المنتظر ثم اعتنق الاسلام وظلت عقيده (الشاباتية) موجودة لدى فئة في سالونيك تعتنق الاسلام ظاهريا ويظن انهم يمارسون شعائر يهودية سرا

Times, 12.5.1910, p. 5.

والوجود العربي ، وأخذت تلاحق انتقال الاراضي وتطالب بتشديد القيود على الهجرة والاستيطان اليهوديين ، وتنشر انباء النشاطات الصهيونية فكانت عاملا في زيادة مشاعر الغداء للصهيونية وفي اثارة وعي الشعب لمواجهة هذا النشاط وطرق مكافحته ، بحيث أصبحت معارضة الهجرة الصهيونية بعد عام ١٩٠٨ موضوع الاجاديب الدائمة للناس . وقادت الحملة في بادئ الامر صحيفتا الاصمعي (٢٤) والكرمل (استسنا عام ١٩٠٩) ثم المنادى (٢٥) وفلسطين (استسنا ١٩١٢) . وكان رئيس تحرير « الكرمل » الصادرة في حيفا « نجيب نصار » * اول من حمل لواء المعارضة للصهيونية في فلسطين خلال الفترة السابقة للحرب دون توقف ، ولعب دورا بارزا في كشف وتعمية الخطر الصهيوني على فلسطين والفلسطينيين ، وقاد حملة توعية على صفحات جريدته التي كانت معظم نسخها توزع مجانا (٢٦) . ونشر في جريدته مرارا البرقيات الموجهة من فلسطين الى الاستانة احتجاجا على شراء الاراضي ، وطالب باتخاذ اجراءات اشد لمنع دخول المهاجرين ومنع بيع الاراضي . وردا على اعتزام الحكومة العثمانية بيع الاراضي الاميرية التابعة للدولة في منطقة بيسان (٢٧) الى اليهود الاجانب وجهت الكرمل في ٧ تموز ١٩٢٣ نداء « هل تقبلون ان تصبحوا عبيدا للصهيونيين الذين جاءوا لطردكم من بلادكم مدعين انها بلادهم ؟ .. ايرضكم ذلك ايها المسلمون والسوريون والعرب ، اننا نؤثر الموت على ان نسمح بان يحدث ذلك » ، وحث النداء الشعب على تشجيع الصناعات الوطنية والمهن والزراعة وعدم الاعتماد على الحكومة في ذلك ويكشف النداء ان الفلسطينيين قد فقدوا الامل في ان تتخذ الحكومة اي اجراء ضد العدوان الصهيوني فتحركوا نحو تنظيم انفسهم (٢٨) .

وكانت جريدة فلسطين (للاخوان العيسى من يافا) (٢٩) قد بدأت بلهجة اقل حدة من الكرمل وان كانت في الاشهر السابقة للحرب قد شددت حملتها وتوقفت على الكرمل في مناوئة الصهيونية (٣٠) . وفي آب ١٩١٣ أعلنت انها زادت عدد صفحاتها حتى تتمكن من استيعاب العدد المتزايد من العرائض والاحتجاجات التي تقدم ضد الصهيونية (٣١) . وقد ادت شكاوي الصهيونيين ضد المقالات التي كانت تنشرها الصحف الفلسطينية الى اصدار الاوامر بتعطيلها بين حين واخر (٣٢) . وكانت قاعات المحاكم في حيفا ويافا التي حاكت مرارا اصحاب الصحف المعارضة للصهيونية تغص بجمهور الحاضرين وكانت تعقب كل تبرئة شبه مظاهرة وطنية (٣٣) .

* نجيب نصار ١٨٦٢ - ١٩٤٨ من اصل لبناني (عين غوب) عمل في صفد وطبرية كمساعد صيدلي ثم مارس الزراعة وخبر احوال الاستيطان الصهيوني واطلع على الاسكولبيديا اليهودية وانهمك في دراسة الصهيونية . وكتابة المقالات في صحف القاهرة وببيروت قبل ١٩٠٨ وبعد اعلان الدستور اصدر صحيفة الكرمل اذار ١٩٠٩ .

ونقلت الصحف المحلية القضية خارج حدود فلسطين ، فآثار الخطر الصهيوني المناقشات والجدل في صحف بيروت (فتى العرب ، المفيد ، الرأي العام) ودمشق (المقتبس) (٣٤) والقاهرة (المقطم ، الاهرام ، المنار) (٣٥) ، المؤيد ، الاقدام) . وتبنت تلك الصحف الحملة المناوئة لبيع الاراضي العربية للمستوطنين اليهود وتابعت نمو الحركة الصهيونية ومؤتمراتها واقوال زعمائها وشرح مخططاتها الرامية للحصول على الارض ومن ثم انشاء الكيان الصهيوني . واجرت جريدة « الاقدام » في القاهرة مقابلة أواخر اذار (مارس) ١٩١٤ مع خليل السكاكيني احد مؤسسي المدرسة الدستورية في القدس فقال « ان الصهيونيين يريدون ان يمتلكوا فلسطين قلب الاقطار العربية والحلقة الوسطى التي تربط شبه الجزيرة العربية بافريقية ، وهكذا يبدو انهم يريدون كسر الحلقة وتقسيم الامة العربية الى جزئين للحيلولة دون توحيدها ، فعلى الشعب ان يكون واعيا ، انه يمتلك ارضا ولسانا ، واذا شئت ان تقتل شعبا فاقطع لسانه واحتل أرضه ، وهذا بالضبط ما يعتزم الصهيونيون ان يفعلوه » .

ج - عودة الحياة البرلمانية :

اتاحت عودة الحياة البرلمانية في الدولة العثمانية للمندوبين العرب داخل المبعوثان ايجاد روابط بين امانهم السياسية القومية تتجاوز المصالح الاقليمية (٣٦) ، وكان الخطر الصهيوني احد العوامل التي زادت في توثيق هذه الروابط . وحسن طرح الموضوع على المناقشة رسميا ١٩١١ (٣٧) انطلق النواب العرب من جميع الولايات العربية (منهم نائب دمشق شكري العسلي (٣٨) ونائب القدس روجي الخالدي وغيرهما) لطرح المسألة الصهيونية بجدية حقيقية وذلك بشرح ابعاد المخطط الصهيوني والعمل على احباطه وضرورة مواجهته والمطالبة بوقف النشاط الصهيوني وحث الحكومة على اتخاذ اجراءاتها ضد الهجرة وبيع الاراضي والتنبيه الى المظاهر القومية للصهيونية في فلسطين كالعلم الخاص والطوايع البريدية الخاصة والمدارس والمحاكم واستخدام اللغة العبرية (٣٩) . واثاروا اهتمام الدولة العثمانية بالمسألة على اعتبار ان خطورتها تهدد كيان الدولة وانتقدوا تهاون السلطات ، وطالبوا باعادة فعالية القيود المفروضة على الهجرة وتملك الاراضي (٤٠) . وكانت المعاداة للصهيونية ضمن البرامج الانتخابية للمرشحين العرب الى انتخابات المبعوثان عامي ١٩١٢ و ١٩١٤ لازالة الضرر والخطر اللذين ينتظران العرب على يد الصهيونية (٤١) . وكان تأكيد مرشحي المبعوثان في متصرفية القدس على مقاومة الصهيونية كجزء من برنامجهم دليل على ان هناك رأي عام يجب الأخذ به بعين الاعتبار (٤٢) . وقد حرص المندوبون العرب على ان يؤكدوا دوما على التمييز بين المواطنين اليهود القدامى الذين عاشوا معهم في علاقات

طية خلال كل العصور ، واليهود الصهيونيين الذين ادخلوا الفكر السياسي للوطن القومي (٤٤) .

د - الحركة العربية الحديثة :

كانت النخبة العربية من المثقفين تسعى جاهدة منذ مطلع القرن ، بعد فترة احياء فكري ، للحصول على حقوق العرب القومية واعادة العرب الى موقعهم الصحيح داخل الدولة العثمانية . وقد دخلت الحركة العربية بعد عام ١٩٠٨ في طور جديد بعد تغير نظام الحكم ، واخذت حركة التملل والتذمر من الحكم العثماني طابعا عربيا اكثر تحديدا كرد فعل للتحدي التركي . وتشكلت الاحزاب والجمعيات العربية التي ساهم فيها شباب الاوساط المثقفة من أبناء فلسطين ، وسعت لنيل حقوق العرب داخل الدولة (٤٥) . وهي في نضالها هذا ادركت ان الصهيونية تهدد الفكرة العربية الناشئة نظرا للطبيعة الخاصة للحركة الصهيونية التي تختلف عن طبيعة اي احتلال اجنبي لانها تهدف الى الاستيطان والانتزاع النهائي لاقليم هام له مكانته الخاصة في الوطن العربي والانتقال منه الى اقاليم اخرى والوقوف في وجه الوحدة العربية وتهديد مصالح الوطن العربي الحيوية ، فوضعت تلك الاحزاب والجمعيات نصب عينها مقاومتها باستخدام كل القوى المتاحة من اجل التغلب على قوة الحركة الصهيونية والعمل على ابقاء فلسطين عربية (٤٦) . واذا كان المؤتمر العربي الاول ١٩١٣ (٤٧) لم يبحث باسهاب وتفصيل مشكلة الخطر الصهيوني في فلسطين ، ولم يتخذ بالتالي مقررات بشأن هذه المشكلة الهامة والخطيرة (٤٨) ، فلعل مرد ذلك الى ان الحركة العربية كانت مستغرقة في بحث الطرق والوسائل الكفيلة بتحقيق الاستقلال الذاتي للمناطق العربية في الدولة العثمانية (٥٠) .

ثالثا : اشكال المقاومة العربية للصهيونية حتى عام ١٩١٤ :

اتفقت وجهة النظر العربية على ان ادخال الصهيونية الى فلسطين خطر كبير ، الا انها اختلفت في تقديرها لمدى هذا الخطر تبعا للفئات الاجتماعية والمناطق :

فالمثقفون من أبناء فلسطين من سكان المدن الذين اطعموا على الثقافة الغربية وتابعوا نمو الحركة الصهيونية ومؤتمراتها واقوال زعمائها وعرفوا اهدافها البعيدة ومخططاتها ، الى جانب ما لمسوه من اعمالها مباشرة ، قد باتوا يخشون على الوجود العربي نفسه في فلسطين ، وادركوا ان غرض الصهيونيين الحالي هو الحصول على اكبر قدر ممكن من الاراضي واستيطانها ، والوصول بذلك الى الغرض السياسي البعيد . وعبروا عن معارضتهم في تسجيل الاحتجاجات (٥١) وفي كتابة المقالات في

الصحف وارسال البرقيات والوفود على مختلف المستويات . كما أخذت معارضتهم شكلا منظما فتم تشكيل منظمات محلية مهمتها الحيلولة دون بيع الاراضي الى اليهود (٥٢) ، وكذلك لجان في السواحل للاشراف على نزول اليهود في الموانئ والتأكد من تطبيق قيود الدخول . وتشكلت الاحزاب والجمعيات المنظمة لمعارضة الصهيونية مثل الحزب الوطني العثماني عام ١٩١١ (٥٣) ، وجمعية مكافحة الصهيونية في نابلس (٥٤) ، وأخذت تكتسب الانصار وتتحرك نحو مرحلة العمل . وحذت حذوها جمعيات مماثلة في اسطنبول والقاهرة (٥٥) . وظهرت المؤلفات والاثار الادبية التي أخذت ترسخ روح العداء في صفوف الجماهير ، كمؤلفات اسعاف الناشيبي والشيخ سليمان التاجي الفاروقي . وبدأت الدعوة الى مقاطعة البضائع اليهودية وترقية احوال البلاد الاقتصادية ، وتحسين اوضاع الاراضي ، ورفع سوية الفلاحين واقتباس اساليب الصهيونية العلمية والتنظيمية مع الادراك بأن المعارضة للصهيونية لا يمكن أن تصبح فعالة الا من خلال اكتساب المعرفة والمهارة والتنظيم (٥٦) .

وقد شارك في هذا العمل مسلمون ومسيحيون ، وكان الشعور بالخطر الصهيوني من جملة العوامل التي قربت بين الفئتين (٥٧) . وتكوّن نتيجة جهد المثقفين رأي عام كان يتابع تطور الحركة الصهيونية من خلال منشوراتها وكتبها وصحفها . وان كان هذا الاطلاع قد اقتصر على فئة المثقفين الا انه لا يمكن انكار الرأي العام (٥٨) ، ودليل ذلك ان قاعات المحاكم في حيفا ويافا التي حاكت مرارا اصحاب الصحف المعارضة للصهيونية كانت تفص بجمهور الحاضرين وكانت تعقب كل تبرئة شبه مظاهرة وطنية .

اما معارضة كبار الملاك فقد كانت ناجمة عن تهديد عملية شراء الاراضي لمصالحهم المباشرة ، وكانوا يدركون ما تحمله هذه العملية من أخطار بعيدة ترمي الى اقتلاعهم من الارض . واتهم الصهيونيون طبقة الملاك والاعيان بأنهم يشيرون اتباعهم حرصا منهم على مراكزهم ومصالحهم . ولكن هذا لم يمنع من أن يتم بيع بعض الاراضي على أيدي هؤلاء مباشرة أو عن طريق عملاء من اليهود المحليين دون مبالاة بضغط الرأي العام ضد البيع ، ورغم الاضرار التي كانت تلحق بمستأجري الارض من الفلاحين (٥٩) العرب . وكان معظم الملاك الكبار يقيمون في المدن وفي خارج فلسطين على الاغلب ، وليس لهم اهتمام مباشر بأراضيهم .

وعلى الرغم من أن الفلاحين في القرى لم يصلوا الى درجة الوعي الكافية لادراك ابعاد الخطر (٦٠) ، إلا أنهم قد لمسوا بشكل محسوس المساوئ الاقتصادية التي رافقت عملية الاستيطان نفسها ، فعملية شراء الاراضي غالبا ما كان يتم على أثرها طرد الفلاحين العاملين على تلك الاراضي التي كان يتم شراؤها ، وكانوا غالبا لا يملكون

هذه الاراضي ، بل هي اما من املاك الدولة او في حوزة اصحابها من كبار الملاك . وكانت الملكيات الواسعة هي التي يطمح الصهيونيون الى شرائها ، ومن هنا كانت ردود فعل الفلاحين عنيفة ، بدأت مع بداية الاستيطان . وقد تكررت هجمات الفلاحين المسلحة على المستوطنات التي اقيمت وسط القرى العربية (٦١) ، ولاسيما في مناطق طبرية والجليل ويافا حيث تركز اكثر المستوطنات . وهذا ما دفع المستوطنين الصهيونيين الى تنظيم الحراسة اليهودية المسلحة للمستوطنات ، لحمايتها من غضب الفلاحين . ومن هذه التجربة تطور نظام « الهاشومير » (الحراس اليهود) او بدايات « حركة الدفاع الذاتي اليهودي » . وكان مؤسسو هذا النظام يعرفون ان طريقهم « ليس معروشا بالورود (٦٢) » ، الا ان محاولة انشاء هذا النظام كانت دليلا على ان المستوطنين كانوا يشعرون بالمصاعب التي تواجه عملية الاستيطان . وقد اوكل الى « الهاشومير » بناء مستوطنات زراعية على الحدود كي يتولوا مهمة الدفاع ومهمة العمل كطلائع للاستيطان في الوقت نفسه ، ويقول احد مؤسسي هذا النظام : « انهم منذ الايام الاولى قد شقوا طريق الصهيونية الصعب بيد على المحراث واخرى على السيف (٦٣) » . وهذا الشعور بعدم الامن هو الذي دفع « آرثر روبن » مدير مكتب فلسطين الى الالحاح على المنظمة الصهيونية لتزويد المستوطنات بالاسلحة حتى تتمكن من الدفاع عن نفسها (٦٤) .

ورافق استياء الفلاحين من قدوم المستوطنين اليهود موجة من الغضب على المالكين العرب اصحاب الاراضي الواسعة الذين تساهلوا في تمليك المستوطنين لاراضيهم . وكانت الكتابات المعارضة للصهيونية تصل الى الريف فتزيد حدة المشاعر المناوئة للصهيونية . ولم يكن في الامكان ان تخف مشاعر العداء مزاعم الصهيونيين ان هذا العداء بتحريض الملاك الكبار ، وانه لولا ذلك لتقبل الفلاحون الوجود الصهيوني بسبب تلك المنافع التي ادعى الصهيونيون انهم حملوها معهم (٦٥) . وعلى الرغم من ان الصهيونيين حاولوا ان يقللوا من اهمية هذه العلاقات العدائية ، فقد اقرروا بان الحياة الريفية في فلسطين لم تكن آمنة (٦٦) .

اطلع قادة الراي العام خارج فلسطين على الخطر من خلال الصحافة الفلسطينية وعن طريق كثير من الموظفين العرب الذين عملوا في المنطقة ، ومن خلال اللقاءات القومية في الاحزاب والجمعيات . وقد اتفقت جهات نظرهم حول الخطر ، ووضعوا حلولاً لمواجهة ، الا ان بعض الفئات القومية العربية ، في خارج فلسطين ، نظرا لانها لم تكن على صلة مباشرة بما كان يجري (٦٧) ، اختلفت في تقدير مدى هذا الخطر ، فاتجهت الى التقليل من اهميته السياسية ، ورات ان النشاط الصهيوني يحمل فقط خطرا اقتصاديا او اجتماعيا ، بحيث اشترطت اخذ الضمانات الكافية ضد هذه

الاحطار وتنازل اليهود عن جنسياتهم ليتساوا بالمواطنين ، كخطوة تمهيدية لقبولهم بقدوم المهاجرين الى حد يتيح الاستفادة منهم . وقد يكون انشغال هذه الفئات بمواجهة الخطر التركي المركزي الشديد ، أو سعيها لاقتباس أساليب الصهيونية الفنية ، سببا في قبولها فكرة التفاهم والاتفاق مع الصهيونيين أسلوبا لتلافي الخطر الصهيوني ومحاولة لتقييد الحركة الصهيونية بشروط معينة تحد من امتدادها(٦٨).

وقد فشلت محاولات عقد مؤتمر مشترك قبل الحرب العالمية الاولى لان القيادات الصهيونية لم تشأ ان تلزم نفسها بأي اتفاق ولان الوعي العربي على ابواب الحرب العالمية الاولى كان قد ادرك تماما مدى الخطر الذي يهدده في المستقبل (٦٩) ، وبدأ يرسم خطوطا عامة لمواجهة هذا الخطر بأسلوب جامع يبدأ بانشاء الجمعيات وينتهي بالعمل المسلح(٧٠) . وكتب محمد المحمصاني (أحد مؤسسي جمعية العربية الفتاة) عام ١٩١٤ (٧١) « اننا لسنا ازاء حركة مباراة ومنافسة ، بل حركة دفاع عن حياة عامة توجب الأخذ بكل طرق المقاومة ، لافرق بين انشاء الجمعيات والنقابات وبين تأليف العصابات المسلحة . . يجب ان نقيس عملنا على جميع ماعند الصهيونيين من القوى العاملة كي يتاح لنا التفوق على حركتهم ونبين لهم كيف تبقى بلاد العرب للعرب » .

ولم تقف الحركة الصهيونية موقف اللامبالاة من المعارضة العربية ، مع ان الزعامة الصهيونية لم تعر « المسألة العربية » اهتماما خطيرا في بادىء الامر ، ولم تنظر الى العرب كعامل سياسي هام يجب اخذه بعين الاعتبار . وكانت جهود الصهيونيين تدور حول الدولة العثمانية ومن له القدرة فيها على ازالة القيود المفروضة على عملية الهجرة والاستيطان . ورغم ان آحاد هاعام (أحد كبار مفكري حركة احياء صهيون(٧٢) كان من الاوائل الذين تبينوا الخطر الذي قد تضعه « المسألة العربية » امام تقدم المشروع الصهيوني ، الا أن وجهة نظر الصهيونية العامة بالنسبة الى العرب كانت ترى ان المنافع الاقتصادية وامكانات التقدم الفني والثقافي التي تحملها الهجرة اليهودية كفيلا بجعل عرب فلسطين يرون في الهجرة فائدة لهم ، فلا يضعون العراقيل في طريقها . وهذا الرأي كان ايضا في جذور تفكير هرتزل حول الموضوع ، وظل سائدا لمدة طويلة (٧٣) .

وحاول الصهيونيون التقليل من اهمية المقاومة العربية ، فأرجعوا اسبابها الى أمر طبيعي يحدث في أي بلد يفد اليه مهاجرون جدد ، وتنشأ طبيعيا عن المواجهة بين عالمين مختلفين ، أحدهما متخلف والاخر متطور . وشبهوا الموقف المضاد « بقوى الصحراء التي تقف كالحارس ضد أي محاولة استيطان جديد(٧٤) » . كما عزا

بعض المستوطنين الاوائل الاصطدامات الاولى بين الفلاحين والمستوطنين اليهود الى جهل اللغة والعادات والطبائع العربية (٧٥) ، واعتبر بعض كبار الصهيونيين أن المعارضة العربية تعود الى ظروف اقتصادية اجتماعية ، أو الى عدا «مسيحي (٧٦)» متأثر بفكرة «المعاداة للسامية» ، التي حملها الكتاب الكتاب المسيحيون من الثقافة العربية (٧٧) .

ومع تغير الاوضاع السياسية في الدولة العثمانية عام ١٩٠٨ وازدياد أهمية الدور العربي ، لم يعد بإمكان الصهيونيين تجاهل العرب كقوة سياسية رغم كل تساهل الحكام الجدد تجاه النشاط الصهيوني . واثار قلق الصهيونيين تزايدت المعارضة العربية للصهيونية ، والتي كانت تعرقل مساعيهم لاحتلال فلسطين . لذلك بذلوا جهودا لابطال مفعول المعارضة ، وجندوا عددا من الكتاب اليهود للدفاع عن الصهيونية على صفحات الجرائد العربية وللتأكيد على منافعها المادية (٧٨) ، واشتروا بعض الصحف الناطقة بالعربية (٧٩) ، وسعوا لدى الدولة العثمانية كي تتخذ من الصهيونية سلاحا مضادا للفكرة القومية العربية (٨٠) . وكانت آخر مساعيهم الدبلوماسية محاولة كسب تعاطف وموافقة بعض القيادات العربية للوصول الى تحالف عربي يهودي بحجة المنفعة المتبادلة وتقارب الشعبين والعمل معالحياء الشرق (٨١)، وما يمكن أن تقدمه الصهيونية من منافع مادية للبلاد العربية كلها ، وليس لفلسطين وحدها . وكان أصحاب هذه الدعوة يخشون على المشروع الصهيوني من الفشل ، فأروا تجاوز المصاعب تحت ستار التفاهم والتقارب والاخوة والمصلحة المشتركة . ولم يكن بإمكان هذه الأساليب أن تغير مجرى الاحداث التالية ، اذ كانت العلاقات العربية الصهيونية قد زادت حدة على ابواب الحرب العالمية الاولى (٨٢) .

رابعا : مقاومة عرب فلسطين للصهيونية خلال سنوات الحرب ١٩١٤ - ١٩١٧ :

عطل نشوب الحرب العالمية الاولى المقاومة العربية للصهيونية ، وانصرفت الحركة العربية عن ملاحقة المسألة الصهيونية لعدة اسباب :

١ - انتقال مركز نشاط الحركة الصهيونية الى مجالات عالية بعد ان أصبح تحقيق المطامع الصهيونية أقرب الى الواقع مع قرب انتصار الحلفاء وانهيار الدولة العثمانية . وقد انتقل مركز الثقل الصهيوني الى لندن وزاد ضغط الحركة الصهيونية على الحكومة البريطانية لاصدار تصريح بالعطف على المطامع الصهيونية في فلسطين ، مستغلة الاهتمام البريطاني السابق للحرب في فلسطين ، والذي زادته الظروف الاستراتيجية الناجمة عن الحرب (٨٣) . ووصلت المفاوضات المكثفة بين

الزعماء الصهيونيين والحكومة البريطانية الى اوجها بتصريح بلفور في ٢/١١/١٩١٧ (٨٤) وحين كان التخطيط يرسم لمستقبل فلسطين لم تكن المسألة العربية مجهولة بالنسبة الى المفوضين ، وكان امر المعارضة العربية القوية للنشاط الصهيوني معروفا لديهم . وعلى الرغم من ذلك جاءت « فكرة الوطن القومي اليهودي » لتهمل الوجود العربي ، ولم يشر التصريح الى العرب الفلسطينيين الا بانهم « طوائف غير يهودية » في وقت لم يكن عدد اليهود يتجاوز ٤٪ من السكان (٨٥) .

ب - الانهالك الشديد الذي حل بشعب فلسطين ، كسائر أبناء المنطقة ، بسبب الظروف الاقتصادية القاسية وانتشار الجوع (٨٦) والمرض ، خاصة بعد ان اتخذت فلسطين نقطة انطلاق لهجوم عثماني على جبهة السويس . وكانت نتائج الهزيمة العثمانية على اهل الشام عامة وعلى أبناء فلسطين خاصة قاسية ، فعانوا من النفي والاعتقال والاعدام ومصادرة الممتلكات ، في حين أكدت جميع المصادر ان حال اليهود كانت افضل من اي فئة اخرى ، وانهم لا قوا رعاية الدولة العثمانية ، ولم تقع عليهم اجراءات الظلم والاضطهاد التي وقعت على فئات الشعب الاخرى . ويعود ذلك الى قوة تأثير اصدقاء اليهود والصهيونيين في الخارج من يهود عثمانيين ، ودونمه وامريكيين والمان (٨٧) .

ج - انشغال العرب في المشرق بأحداث الحرب العالمية الاولى ، حين اصبح المشرق العربي احدى جبهات تلك الحرب بعد ان سعت بريطانيا لاستمالة العرب الى جانبها ضد الدولة العثمانية ، في نفس الوقت الذي كان العرب يسعون فيه للتخلص من الدولة العثمانية . وقد وعدت الحكومة البريطانية عرب المشرق بالاستقلال والوحدة عدا بعض التحفظات . لكن بريطانيا لم تشر في تحفظاتها الى أي ادعاءات بريطانية او صهيونية في فلسطين ، ومعنى ذلك انها اعترفت بسيادة فلسطين ضمن الدولة العربية الموعودة . ونتيجة لهذه الوعود أعلنت الثورة العربية على الدولة العثمانية في ١٠/٦/١٩١٦ ، وكونت قواتها الجناح الايمن للقوات البريطانية الزاحفة من مصر بقيادة النبي نحو فلسطين ، وساهم العرب بالحرب الى جانب الحلفاء الذين استغلوا الثورة لمنفعتهم ، وحاكوا المؤامرات ضد العرب ، والحرب لم تنته بعد .

ومع ان فلسطين كانت تنقصها مقومات الثورة بسبب اوضاع البلاد القاسية وحرمان البلاد من رجالها ، ومع ان النبي لم يرغب لعدة اسباب ، في وجود قوات عربية تعمل في جبهته (٨٨) ، الا ان تقارير « المكتب العربي » بينت اسهام عرب فلسطين خلال الحرب ، اذ انضم بعضهم الى قوات فيصل في الشرق وتعاون بعضهم الاخر مع بريطانيا ، وأدى نشاطهم ضد العثمانيين الى اضطهادهم ونفيهم او اعدام

بعضهم . وقد مكن هذا الموقف المتعاطف ، للنبي من معرفة كل شيء على جبهة العمليات العسكرية في فلسطين وسهل له حرية الحركة والرونة ، ودخل البلد كصديق (٩١) . رغم كل الاسباب السابقة وهيمنة أحداث الحرب على مسرح السياسة الداخلية بفلسطين في غضون الفترة الواقعة بين صيف ١٩١٤ وخريف ١٩١٧ ، لم تنصرف انظار عرب فلسطين عن الصهيونية وأخطارها وضرورة محاربتها ، خاصة وان النشاط الصهيوني لشراء الاراضي وانشاء المستوطنات لم يتوقف خلال الحرب (٩٢) . ففي تقرير اعده المكتب العربي في القاهرة ١٩١٧/٢/٥ (٩٣)، ذكر انه تم بالفعل تشكيل جمعية في القدس تضم الطبقة المثقة من الشباب لمقاومة الاستيطان اليهودي . وحملت مذكرة أخرى ١٩١٧/١/١٢ (٩٤) اسباب المعارضة العربية في فلسطين للصهيونية لدى الفئات المختلفة بانها تكمن في أهداف الصهيونية الحديثة السياسية التي ترمي الى تأسيس دولة يهودية مستقلة ذاتيا والاقصاء التدريجي لسكانها ، وترى أن المسلمين في القدس خاصة يميلون نحو المسيحيين وهم ضد اليهود ، أو بشكل أدق ضد الصهيونيين ، ويقاومون ازدياد عدد المستوطنات اليهودية وشراء الاراضي وتجريد السكان من ممتلكاتهم .

وكانت حركة المعارضة للنشاط الصهيوني التي شهدتها الصحافة العربية قبل الحرب قد تعطلت ، بعد أن أغلقت جميع الصحف التي تولت قيادة هذه الحركة ، الا أن بعض الاشارات العابرة عن الحركة الصهيونية ظهرت في بعض الكتابات خارج فلسطين . ففي كتاب كلف مؤلفاه بمسح ولاية بيروت ١٩١٦/١٣٣٥ هـ (هما رفيق التميمي ومحمد بهجت) خصصنا في الجزء الثاني من الكتاب فصلا عن الحركة الصهيونية ووصف الحياة العامة في مستعمرة ملبس (بتاح تكفا) ويتساءل المؤلفان « هل تتمكن هذه الاقلية من الامة اليهودية المبتلاة بالاسراف والفطرسه من أن تصل الى الغاية اليهودية بفضل ملايين البارونات وأصحاب الثروة التي لاتعرف الفناء » .

اما الصحافة في مصر والتي كانت تشرف عليها منذ الفترة السابقة للحرب ، الزعامة السورية في مصر (٩٥) ، فلم تشر الى المسألة الصهيونية أو الى مستقبل فلسطين الا نادرا . فقد شغلتها قضايا الحرب وتطور أحداث الثورة (٩٦) وتأثرت بظروف الرقابة خلال الحرب ، حتى لقد شارك بعضها في الدعايات العالمية عن معاناة اليهود وتعاطفت مع آمانيهم خلال الحرب (٩٧) . الا أن الاهرام فتحت الباب مجددا لبحث المسألة الصهيونية « التي اثرت قبل الحرب ، على أساس أن القضية بها خصمان كل يتمسك بأدلته لتأييد دعواه ، وتركت الحكم للرأي العام ولم تتخذ موقفا بحجة الموضوعية ، فاتاحت المجال للمدافعين عن الادعاءات الصهيونية ، كما سمحت لبعض الكتاب بالرد على التحدي الصهيوني والدفاع عن الحق العربي واثبات عروبة فلسطين بالحجج المنطقية (٩٨) .

ولما كانت الحكومة البريطانية ، وهي تتابع مفاوضاتها مع الصهيونيين لاصدار التصريح ، تدرك طبيعة المشاعر العربية بشأن مستقبل فلسطين ، دون أن تجهل المعارضة العربية للصهيونية ، فقد حاولت أن تحول دون اجراء بحث لموضوع الصهيونية اثناء سنوات الحرب ، ولكن ملاحظة عابرة في صحيفة (القبلة) في مكة (١٨ / ٨ / ١٩١٦) (٩٩) اقلقت الحكومة البريطانية ، ووجهت انظارها الى احتمال حدوث مضاعف في المستقبل . فخلال هجوم كاتب المقال على الاتحاديين وعلى مدى التسلط الالمانى في الدولة العثمانية يذكر فلسطين التي اصبحت المانية « بعدما نشبت بها براثن الصهيونيين واتخذوا من الاتحاديين بقوة القيصر مطية ركبوها الى اغراضهم ، فاقتطعوها بقعة بعد اخرى ... وبلدا بعد بلد حتى رثيت قومي وبكيت عليهم بالدم لا بالدمع » . واثار المقال مخاوف مارك سايكس (مستشار الشؤون الشرقية في الحكومة البريطانية حتى وفاته سنة ١٩١٩ ، والقوة الموجهة الرئيسية في لندن للسياسة البريطانية في الشرق الادنى والموصى بالسياستين العربية والصهيونية (١٠٠) معا) ، فارسل مدير الاستخبارات العسكرية البريطانية ، بايعاز منه ، تعليمات الى كلايتون رئيس المكتب العربي في القاهرة في ١٩١٦ / ١١ / ٢١ يطالب منه التدخل لدى اصدقائه العرب « بمن فيهم الشريف حسين » لتوجيه تحذير خطير وشخصي بعدم الخوض في هذا الموضوع الخطر ، لانه « سيثير عدااء القوى الحيادية الان ، والتي لو اثبرت كانت كافية لتحطيم الامال » (١٠١) .

ونظرا لقرب العاملين في المكتب العربي من المنطقة ، وامكان اتصالهم بالاغواء العربية ، فقد كلفوا بجمع المعلومات الممكنة عن مدى المعارضة العربية للنشاط الصهيوني قبل الحرب وظروفها ودوافعها ، لتكون الصورة واضحة امام المفاوضين في لندن . كما ان بعض البريطانيين الذين عملوا في المنطقة ، او زاروها قبل الحرب حاولوا توجيه انظار الذين بيدهم امور فلسطين بعد الحرب الى حقوق اهل البلاد مبينين استحالة تحقيق المشروع الصهيوني (١٠٢) . ولم يكن لنصائح هؤلاء تأثير على مجرى الاحداث ، فقد كانت مدرسة مارك سايكس هي التي تسيير السياسة البريطانية في الشرق ، وهي مدرسة تناصر الصهيونية وتدعم القضية العربية من اجل المصلحة البريطانية ، وتغلف ذلك باسطورة بعث واحياء الشرق الذي سيكون فيه مكان يتسع للقوميتين العربية واليهودية معا (١٠٣) .

وقدم مارك سايكس الى المشرق العربي في ربيع عام ١٩١٧ بحجة دراسة الوضع القائم ليضمن قبول الزعامة العربية لكل الخطط البريطانية في الشرق ولتهيئة الجو لبناء علاقات عربية يهودية . وقد بحث سايكس مع لجنة من السوريين في مصر امورا

تتعلق بالاماني العربية ، وابلغهم ان اقصى ما يطلبه الصهيونيون هو تنظيم فلسطين على اساس « نظام الملة العثماني » ، وان يعطوا حكما ذاتيا كسائر الملل . وكان رد الزعماء السوريين « ان العرب ، مسلمين ومسيحيين على حد سواء ، على استعداد لمقاومة بسط السيطرة اليهودية على فلسطين حتى اخر رجل (١٠٤) » .

لم تكن فلسطين ضمن الموضوعات التي بحثها سايكس مع الحسين في جدة (ايار ١٩١٧) . وعاد سايكس الى لندن ليعاود دعمه للنشاط الصهيوني وليحث الحكومة البريطانية على اصدار التصريح المتعاطف معها (١٠٥) . وحين بلغت الصهيونية غاية مساعيها بتصريح بلفور كانت الظروف قد اجبرت العرب ان يلتزموا بتحالف مع نفس الدولة صاحبة التصريح (١٠٦) . واستطاعت المناورات البريطانية ان تحول دون فقدان حسن النية لدى العرب ، وبددت تصريحاتها المتوالية الشكوك التي اثارتها اتفاقية سايكس - بيكو وتصريح بلفور وحالت دون توقف الاسهام العربي في الثورة ، فاستقبلت الجيوش البريطانية بالترحيب بوصفها جيوشا للتحرير . كما ان موقف العرب ، سلبا وايجابا اسهم في نجاح تلك الجيوش ، ودخل النبي القدس في ١٢/١١/١٩١٧ بعد اقل من ستة اسابيع من اصدار تصريح بلفور . واخذت المعارضة العربية للسياستين الصهيونية والبريطانية اتجاها جديدا بعد ان خول الاحتلال العسكري بريطانيا ان تفعل ما تشاء في بلد محتل .

واخيرا : فان هذه الدراسة كانت محاولة لاعطاء صورة عما كان يجري بين ١٩٠٨

١٩١٧ ، لا الحكم عليها على ضوء التطورات التالية . وقد تبين من خلالها ان العرب كانوا اكثر احساسا بالخطر الصهيوني مما هو متوقع ، وكانت ردود افعالهم مبكرة . لذلك لم يكن الصراع مع الصهيونية مفاجئا ، تفجر بعد الحرب (١٠٧) ، حين بدأ التنفيذ الثعالي لتصريح بلفور ، فجذوره موجودة في هذه المرحلة ، وهي تفسر كل ما دار في المنطقة فيما بعد .



* هذا البحث لن يتناول بالتفصيل نشأة الحركة الصهيونية في أوروبا أو مظاهر العمل الصهيوني داخل فلسطين ، كذلك لن يفصل في التطورات التي مرت بها الدولة العثمانية أو الحركة العربية خلال هائل الفترة .

وحول مزيد من التفاصيل عن موضوع البحث يمكن مراجعة الدراسات التالية :

- ١

Mandel , N. Turks , Arabs and Jewish immigration into Palestine 1882-1914.

وهي دراسة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في مركز الشرق الاوسط في كلية سانت انتوني اوكسفورد ١٩٦٥ ونشرت فيما بعد .

- ب

Porath, Y., The Political awakening of the Palestinian Arabs and their leadership towards the end of the Ottoman period.

وهي دراسة مقدمة الى المؤتمر الذي عقد في القدس ١٩٧٠ عن فلسطين في العهد العثماني ونشرت تحت عنوان

Ma'oz, M. (ed.) Studies on Palestine during the Ottoman period, Jerusalem 1975.

- ج

قاسمية ، خيرية : النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه

وهي دراسة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة ١٩٧٢ نشرت فيما بعد .

الهوامش :

١ - خلال الفترة موضوع البحث كانت فلسطين تقسم اداريا الى المناطق التالية :

في الشمال متصرفية عكا وتشمل (اقضية: حيفا ، الناصرة ، طبرية ، صفد) ومتصرفية نابلس و تشمل (قضائي جنين وطولكرم) والمتصرفيتان تبعا ولاية بيروت . وفي الجنوب متصرفية القدس المستقلة وتشمل اقضية : القدس ، يافا ، غزة الخليل ، بئر السبع وتقع مباشرة تحت اشراف الحكومة المركزية في الاستانة .

انظر : برغوثي وطوطح ، تاريخ فلسطين ، القدس ١٩٢٣ ص ٢٥٧ وما بعدها .

Simon, L., and Stein, L. (eds.) Awakening Palestine, London, 1923, p.251 (٢)
Cohen, A. Israel and the Arab world, London 1970, pp. 32-38

وحول ماهية الحركة الصهيونية يمكن مراجعة مقال محمد المحمصاني « الصهيونية والصهيونيون » في جريدة فتي العرب ١٩١٤/٥/٤ وكذلك نقولا ، جبرا ، في العالم اليهودي القدس ١٩٣٥ .

Weizmann, Ch., Trial and Error, London 1950, p. 61 (٣)

Zangwill, I., The Return to Palestine, The New Liberal Review, Dec. 1901. p. 627. (٤)

ويقول زانغويل « .. الآن ، وليس في وقت آخر ، تكمن فرصة اسرائيل... بعد ان حملت قناة السويس العالم الى ابواب فلسطين »

Esco Foundation for Palestine - A Study of Jewish, Arab and British Politics, New Haven, Yale University press, 1947-1949, pp. 335-336 (٥)

وعن لقاءات هرزل والسلطان انظر
The Complete Diaries of Theodor Herzl, translated by H. Zohn, New York 1960 (ed.) by L. Simon pp. 158-159.

Simon, M., (ed.) Speeches, Articles and Letters of I. Zangwill, London 1937, p. 80. (٦)

في وثيقة تركية تحتفظ بها اسرة ابو الشامات في دمشق ، ويقال ان السلطان عبد الحميد قد بعث بها الى الشيخ محمد ابو الشامات استاذة في الطريقة الشاذلية من منفاه في سالونيك، يذكر فيها انه لم يتخل عن الخلافة الا لان الاتحاديين قد الحوا عليه بان يصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الاراضي المقدسة ووعدوه مبلغ ١٥٠ الف ليرة تركية ذهباً وورقاً .

حول تطور الموقف العثماني من التدفق اليهودي انظر التقارير القنصلية البريطانية في :
Hyamson, A., The British Consulate in Jerusalem in relation to the Jews in Palestine, London 1939-1941 pp. 46, 557, 558. (٧)

(٨) تقرير هوغارت ، احد العاملين في أجهزة المخابرات البريطانية خلال الحرب في مصر
F.O. 882/17, Arab Bureau Papers, «Syria, Political Situation Since 1880.

Weizmann, p. 41. (٩)

Jewish Territorial Organization. I.T.O. Pamphlets (British Museum). (١٠)

(١١) كياي ، عبد الوهاب ، تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت طبعة اولى ١٩٧٠ ، ص ٤٤ - ٤٥

(١٢) المصدر السابق ، ص ٤٩

(١٣) المجلد ٢٣/١/١٨٩٧ مقال كتبه امين ارسلان قائمقام طبرية بعنوان « مملكة ضهيون »
المقتطف ١/٤/١٨٩٨ مقال « عودة اليهود الى فلسطين » مجلد ٢٢ ج ٤ ص ٢١٠ - ٢١١

(١٤) مجلد ١ عدد ٧٦ نيسان ١٨٩٨ ص ٤٤

(١٥) نشر الكتاب في باريس عام ١٩٠٥ بعنوان

Le Reveil de Nation Arabe dans l'Asia Turque.

(١٦) رسالة السفير البريطاني في الاستانة لوثر الى وزير الخارجية غرامي في ١٩١٠/٨/٢١ يشرح اسباب التشدد العثماني وموقف السلطان العثماني من الناورات الصهيونية . وكان لوثر قد وصل الاستانة بعد تغير نظام الحكم F.O. 424/224. وقد هلت صحيفة L'Aurore اليهودية في الاستانة ١٩٠٩/١٢/٢٧ للتخلص من عدو «اسرائيل»

(١٧) رسالة مارلنغ القائم الاعمال في الاستانة ١٩٠٩/١٢/٢٧ F.O. 424/222. وكذلك رسالة لوثر الى غراي وزير الخارجية F.O. 371/1010/20761. وقد تكون العلاقة بين تركيا الفتاة واليهود والصهيويين ، التي تبنتها الدوائر البريطانية مبالغ فيها الا ان هذا لا يعني نفس العلاقة كما يميل الى ذلك كتاب : Lewis, B. The Emergence of Modern Turkey, pp. 211-212.

فقد لاحظ العلاقة كل من زار الاستانة حينذاك ومنهم رفيق القلم في مقال في المقطم ١٩٠٩/٨/١٣

(١٨) رسالة لوثر الى غراي في ١٩١٠/٥/٢٩ حول مساعي الصهيونية للسيطرة الاقتصادية على الدولة العثمانية. F.O. 371/1010/20761.

(١٩) بعد اعلان الدستور العثماني نشط وكلاء المنظمة الصهيونية على المسرح السياسي العثماني فتولى جاكوبسون الاشراف على الدعاية الجديدة واوكلت الى جابوتنسكي مهمة الاشراف على الصحافة التي تديرها الصهيونية

Shechtman, J., Rebel and Statesman, the Vladimir Jabotinsky Story, New York, 1956 p. 150.

وكان المؤتمر الصهيوني العاشر في بال ١٩١١/٨/٨ برئاسة نوردو مناسبة عظيمة للتصريح رسميا بالاسلوب الجديد للدعاية الصهيونية. Jewish Chronicle 18. 8. 1911.

(٢٠) من رسالة لوثر الى غراي ١٩١١/١١/١٨ تطبيقا على المقالات الواردة في كتاب صدر عام ١٩١٢ بعنوان Zionist Work in Palestine, New York 1912.

F.O. 424/229.

وكانت تلك المقالات قد صدرت بالالمانية ١٩١١ في عدد خاص من مجلة Die Welt الجريدة المركزية للمنظمة الصهيونية .

(٢١) من الامثلة على ذلك رسالة نوردو الى Times 30. 12. 1912 لتوجيه الاهتمام الدولي لصالح الاهداف الصهيونية ، ورحلة سوكولوف ممثل المنظمة الصهيونية الى لندن لافتارة الراي البريطاني بالمطف على الحركة الصهيونية. F.O. 371/1794/10066/6584.

ودعم سفير الولايات المتحدة هنري مورغنثو اليهودي ليهود الدولة العثمانية بوجه عام ويهود فلسطين بوجه خاص Jewish Chronicle 12/12/1913.

وتدخل الحاخام باشي ناحوم مرارا في الاستانة لالغاء الاجراءات القديمة بحق اليهود ورفع الحظر على شراء واستملاك الاراضي .

Jewish Chronicle 6. 12. 1912

وعدد من جريدة لاوورور مرفقة برسالة لوثر الى غراي ١٩١٣/٣/١٧ و F.O. 424/238

(٢٢) تقديرات النشرة العربية Arab Bulletin في ١٩١٧/١/١٩ وهي النشرة التي كان يصدرها المكتب العربي Arab Bureau الذي أسس في القاهرة « شباط ١٩١٦ » كأحد الأجهزة المنفصلة للسياسة البريطانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى وضم المكتب الخبراء البريطانيين في شؤون المشرق العربي من رحالة وعلماء آثار ومستشرقين وضباط ورجال استخبارات .

(٢٣) لفت مراسل Jewish Chronicle في يافا في ١٩١٠/٢/٢٥ الانظار الى الاخطار التي يتعرض لها اليهود في المستوطنات بعد أن كانوا ياملون أن تكون حياتهم أكثر أمنا في العهد الجديد ، وكانت تهمة مواءمة الاتحاديين للصهيونية هي من جملة الاتهامات التي وجهها قادة الحركة العربية الى الاتحاديين مثال ذلك ما كتبه رشيد رضا في المنار ج٢ ص ١٦٥ ١٤٥ شباط ١٩١٣ منهما جمعية الاتحاديين (جمعية الاحمرين الدم والذهب) بالاتفاق مع الجمعية الصهيونية

(٢٤) صاحب الاصمعي حنا عبد الله عيسى وأسست عام ١٩٠٨

(٢٥) صاحب المنادى سعيد جار الله وصدر عددها الاول ١٩١٢/٢/٨ وصرح محررها بانها قد اتبعت منذ تأسيسها مكافحة السياسة الصهيونية .

(٢٦) كان نجيب نصار قد نشر سلسلة من المقالات في جريدته عن الحركة الصهيونية واطارها اثر مناقشة البعثات الاولى للمسألة الصهيونية في آذار ١٩١١ وقد أصدر هذه المقالات في كتيب عنوانه « الصهيونية » تاريخها - غرضها - أهميتها - في تشرين الاول ١٩١١ .

(٢٧) الاملاك الاميرية الخاصة بالسلطان عبد الحميد وتسمى الجفالك السلطانية او الاراضي المدورة وقد نقلت « لورت » ملكيتها بعد خلعها الى الخزنة العامة وكان الفلاحون قد تنازلوا عن ملكيتها لمصلحة أسباب فسجلت باسم السلطان كي تعفى من الضرائب وتنال الحماية ومساحتها ٢٧ مليون كم تتوزع في ولايات سورية والعراق والجزيرة ، وفي اواخر ١٩١٠ طلب نجيب ابراهيم الاصغر أحد اعضاء مجلس ادارة بيروت سابقا امتيازاً من وزارة المالية لاستثمار الارض مدة ٩٩ عاما مقابل قرض ١٠٠ مليون فرنك وأبدت صحف فلسطين وسورية قلقها من أن تكون الصهيونية وراء المشروع خاصة الاملاك الاميرية في فلسطين - فور بيسان واريحا - التي كانت مطعما صهيونيا . وكانت حملة الصحف ضد المشروع أول عمل موحد واسع ضد تزايد النشاط الصهيوني بعد عام ١٩٠٨ وأجبرت الحكومة على التراجع .

انظر المقتبس ١٩١٠/١٢/١ ، الكرمل ١٩١٣/٣/٢١ وأعداد اخرى متفرقة .

(٢٨) مثال ذلك الكرمل « أعداد كانون أول ١٩١٢ » وفيها دعوة الفلاح الى تحسين اساليبه « وأعداد شباط ١٩١٣ » حول محاربة الصهيونية بنفس السلاح التي تعارينا فيه « ودعوة المواطنين لاصلاح المزارع وتاليف الجمعيات والشركات الزراعية والاقتصادية ... الخ .

(٢٩) صاحب الجريدة ومديرها المسؤول عيسى داود الميسى ورئيس تحريرها يوسف الميسى وصدر العدد الاول ١٩١٢/١/١٤ .

(٣٠) فلسطين ١٩١٤/٤/١ يقول صاحبها ان صوت فلسطين توردته اكثر الصحف والجلات ، وحين قامت جريدة « احيروت » الصبرية في القدس بحملة تجوهم على فلسطين شدد الكرمل ازر فلسطين « الكرمل ١٩١٣/١٢/٢٤ » .

(٣١) جاء في فلسطين ١٩١٢/١/٢٢ « .. انه مادام الصهيونيون يستولون على البلد قرية قرية .. فهدوا تباع القدس بالجملة وفلسطين بكاملها ، فلذا لم تشارك الامم كان حلف العونة بهذا خطتها في طرابلس القرب او ربوع البلقان » .

(٣٢) كان اول تعطيل لجريدة الكرمل ١٩٠٩/٦/٢٥ بعد شهر من صدورها ، وفي تشرين ١٩١٢ كانت حملة العنصرية الصهيونية وراء اخير تعطيل « فلسطين » دون محاكمة ، ووقفت الصحف العربية في سورية ولبنان بجانب فلسطين وشاركت الرأي العربي احتجاجه . وفي نيسان ١٩١٢ وانس جولة « مورغنثو » السفير الامريكاني في فلسطين اصدرت وزارة الداخلية امر بالطلاق « فلسطين » وإقامة الدعوى على مديرها المسؤول بحجة انها تفرق العناصر . وكانت « فلسطين » قد نشرت فقرة بعنوان « نصيحة » ١٩١٤/٤/٤ وعدته فيه بالاستمرار بالوقوف بلقاء الصهيونيين « الى يوم ترتجف فيه اعصاب الامة وترى الهوة الهائلة التي تنتظرها فتدوى دوى السيل الجارف ... وويل للكمة الشعب من ذلك اليوم » .

(٣٣) اشار مراسل جوش كرونكل في الاستانة في ١٩١٠/٦/١٠ الى حادثة محاكمة نجيب نصار في شباط ١٩١٠ المتهم بانارة المرب ضد اليهود وحضر المحاكمة جمهور غفير من العرب حطوه بعد تبرئته في مظاهرات عندية ضد اليهود كما نقل وكيل القنصل البريطاني في يافا في نيسان ١٩١٤ تفاصيل محاكمة صاحب فلسطين فقد فصت القاعة بمئات العثمانيين والاجانب لحضور الموافقة التي اتخذت شكل مقاضاة بين الصهيونية وخصومها ..

(٣٤) في مفكرات محمد كرد علي صاحب المقتبس جزء ٣، دمشق ١٩٤٩ ص ٩٩٢ يشير الى انه كتب الكثير عن خطر الصهيونية في جريدته وعطوفه اربعة من اصداقائه عبد الله مخلص وعمر المبالغ اليرغوني وتجب نصار وشكري السلفي .

(٣٥) تنبه رشيد رضا خلال اقامته في الاستانة لمدة سنة بعد تغير نظام الحكم ، الى خطر التغفل اليهودي في اوساط الحكم ونتائج البعيدة في تحقيق اطماع الصهيونية وكتب عن ذلك في النار ٥ مجلد ١٤ ، ١٩١١ ص ٢٦٩ - ٢٧٢

(٣٦) بلغ عدد المدعوين العرب في البعوثان في الدورة الاولى ٦٠ عربيا من اصل ٢٤٥

(٣٧) خلال مناقشات البعثان حول الكيزانية اول آذار ١٩١١ تولى نواب المعارضة اثاره المسالة الصهيونية منتقدين سياسة جاويد (به) المالية وصلتها بالصهيونية ، وحاولت الحكومة في المخطط الصهيوني واثار طرح المسالة ردود فعل في الصحف العثمانية المعارضة وفي الصحافة العربية مما دفع للحكومة العثمانية الى اعادة النظر مؤقتا في موقفها من المسالة ، وهذا الموقف شجع النواب المرب في البعثان على اثاره الموضوع ثانية في جلسة ايار ١٩١١ خلاصة المناقشات في الجلسة الاولى في تقرير لوتر ١٩١١/٣/٧ .

F.O. 371/1245/19395/9103 F.

والاهرام ١٩١١/٣/١١

وعن خلاصة مناقشات الجلسة الثانية ورسالة لوتر الى الخارجية ١٩١١/٥/١٧

F.O. 371/1245/19395/9103 F.

وجريدة المقتبس ١٩١١/٥/٣١

(٣٨) شكركي الصليبي من دمشق عين قائما للتصاهرة في خريف ١٩١٠ وحاول وقف اتمام عملية انتقال أراضي قرية المغولة (في سهل مرج بن عامر) الى الصهيونيين ولذا عزم الوالي على عزله ، وقبل ان يبلغ قرار العزل انتخب ميمونا لدمشق كانون ثاني ١٩١١ وكان الموقف الذي بناه في المناقشة الانتصرة له دوره في فوزه بأغلبية الاصوات ، المقتبس ١٩١١/٢/٢

(٣٩) صورة مفصلة عن تقدم العمل الصهيوني في فلسطين بجميع جوانبه من خلال كتابين Cohen, I., (ed.) Zionist Work in Palestine, New York
Sacher, H., Zionism and the Jewish Future, London 1916

(٤٠) اكدت مجلة The Near East في ١٩١٢/٤/٨ ص ٨١٧ عن مراسلها في الاستانة ان شعور المنطويين العرب الذين يعتبرون تدفق اليهود « كلوا الجراد » لا يمكن ان يتجم عن أي عداة عرقية أو دينية بل انه ناجم عن تخوف العرب من ان يقوم اليهود بيلمهم أولا ثم طردهم اخيرا .

(٤١) لم تلون الحملة الانتخابية في متصرفية القدس في ١٩١٢/٤/٨ بأي طابع حزبي - بمكس ما كان يجري خارج فلسطين ، فقد وجهت الدعوة لانتخاب مرشحين يقفون بوجه خطر الهجرة اليهودية بصرف النظر عن كونهم اتحاديين أو غير اتحاديين . المقتبس ١٩١٢/٤/٨

(٤٢) أجرى محمد التنبطي رئيس تحرير جريدة الإقدام (القاهرة) عدة أحاديث مع مرشحي المبعوثان ١٩١٤ حول رأيهم بالمسألة الصهيونية نشرت في ٢٢ و ٢٩ آذار و ١٢ نيسان و ٢ أيار و ١٤ حزيران ١٩١٤ .

(٤٣) مثال ذلك ما ورد في كلمة وحيي الخالدي مندوب القدس خلال مناقشة المبعوثان الثانية حول المسألة الصهيونية أيار ١٩١١ وكذلك مقال فلسطين ١٩١٢/١١/٢٥ حول محاكمة « بليس » في كيف التهم بقتل طفل مسيحي ليستعمل دمه في رمز ديني كما يدعون ، وأشيرت « فلسطين » المحاكمة « مرة » القرن العشرين .

(٤٤) شارك أهل فلسطين في تيار الحركة الإصلاحية (مركزها بيروت) وتيار حركة اللامركزية (مركزها القاهرة) بنفس القدر ، ولم يكن بين المجموعتين أي خلاف . انظر المفيد ١٩١٢/٤/٨ عن دعم لائحة بيروت الإصلاحية ، أوراق عوني عبد الهادي ومحب الدين الخطيب تشير الى انتشار فروع اللامركزية في فلسطين .

(٤٥) عبرت جريدة امرأة الغرب (إحدى صحف المهجر) ٧ أيار و ٢٥ تموز ١٩١٢ عن الاحساس بالتخوف من الغرض الصهيونية السياسية ، وكذلك الكرمل في ١٩١٢/٢/١١ « وان هذه البلاد لابد ان يمتلكها لليهود ان عاجلا أو اجلا سواء في عهد التركة أو غيرهم ... وهذه الاطماع لا تقتصر على انشاء دولة في فلسطين بل تمتد الى منطقة الشرق للعربي كله اذا لم يتبادر الخطر »

(٤٦) عن تفاصيل ما دار في المؤتمر انظر كتاب : المؤتمر العربي الاول الصادر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية ، القاهرة ١٩١٢ جمع محب الدين الخطيب .

(٤٧) بلغ عدد الموقعين على بركات التأييد التي وصلت الى المؤتمر ١٢٩ فلسطينيا من اصل ٢٨٧
Dawn, E., The Rise of Arabism in Syria, Middle East Journal, vol. 16,
No. 8 1962, p. 149

(٥٠) تعرض صاحب الكرمل بالنقد والالوم لتجاهل المسألة الصهيونية في مؤتمر باريس في نداء وجهه بتاريخ ١٩١٣/٧/١٥ قائلا : « ... يا طلاب الإصلاح في بيروت ومصر ، تطالبون الإصلاح لبلاد يسمى بتطكمها الصهيونيون ويتظفون فيها ويقضون على بقاء اخوانكم »

(٥١) نشرت المقتبس ١٩١٠/٣/١٥ كتابا مفتوحا لمبدل مخلص الى مجلس البعثان حول استعمار الصهيونيين فلسطين وخطر الهجرة والشراء اليهوديين ، وثبه اعضاء المجلس الى « ان البلاد الفلسطينية اصبحت على شفا جرف من الخطر وقد لا يمضي عليها عشرات من السنين الا ويعمل بها ناموس تنازع البقاء عمله الطبيعي ... وتصبح البلاد كليا للاجنبي » .

(٥٢) رسالة نائب القنصل في حيفا الى بيروت ١٩٠٩/٣/١٧ F.O. 195/2311.

تلك اشارت جوشي كرونيكل ١٩٢٠/١١/٢٥ الى وجود منظمة في حيفا هدفها وضع حد للاستيطان اليهودي تدعمها جريدة الكرمل والمقتبس ١١٧

(٥٣) شرح سليمان التاجي الفاروقي في الفيد ١٩١١/٨/١٩ خطة الحزب : حث الامة على مطالبة الحكومة سد باب الهجرة وتطبيق قانون « الجواز الاحمر » ومنع بيع الاراضي والتحقق من تذاكر الاسرائيليين العثمانيين واشراف الحكومة على مدارسهم وتحرير اراضي المستوطنات . وعن نشاط الحزب اقر احياء ليلة خطابية كل اسبوع تنبيه الامة وتذكيرها ودعوتها لباراة الصهيونيين في سبل الحياة والعمل والالتجاء الى الحكومة بالطرق المشروعة .

(٥٤) وجهت الكرمل على صفحاتها في ١٩١٣/٨/٨ الدعوة لانشاء هذه الجمعية .

(٥٥) اشارت الكرمل ١٩١٤/٧/١٤ الى تكوين جمعية اقارمة التيار الصهيوني في استانبول برئاسة الاميرابي الجزائري ابن الامير عبد القادر . وكذلك اشارت الاقدام ١٩١٤/٧/١٩ الى خبر تشكيل « جمعية مقاومة الصهيونية » في القاهرة .

(٥٦) اعداد الكرمل ١٩١٣/٢/١١ ، ١٩١٣/٢/١١ ، فلسطين ١٩١٣/٨/٩ ، ١٩١٣/٤/٢ ، لحث المواطنين على انشاء الجمعيات وتاليف الشركات الوطنية « والتسج في ذلك على منوال الصهيونيين » .

(٥٧) Kedourie, E., Religion and Politics : The Diaries of Khalil Sakakini , St. Antony's papers, No. 4 Middle Eastern Affairs, No. 1. Oxford 1958, pp. 77 - 93.

(٥٨) الكرمل ١٩١٣/١/٣ تشير الى ان عددا من المتورين وارباب الصحف والموظفين « قدر لنا هذه الخدمة وادرك الخطر وصار يتعاون معنا » . وكانت حملة الكرمل ضد بيع الاراضي المدورة قد حركت الراي العام للاحتجاج ودفعت الحكومة الى تغيير موقفها . واشارت الاقدام ١٩١٤/٥/٢١ الى ان الراي العام هو « الكابوس الذي يخشاه الصهيونيون اكثر من الحكومة » .

(٥٩) وجهت الكرمل وفلسطين انتقادات عنيفة الى الزعماء والاعيان الذين تهاونوا في بيع الاراضي او تواطؤوا مع السلطات المحلية لاتمام غطيات البيع . من الامثلة (الكرمل ١٩١٢/١٢/١٠ قرية كركور وبينوس) ، فلسطين ١٩١٣/٢/٢٢ بيع طواحين نهر جريشة - العوجة -) .

(٦٠) لاحظ مراسل مجلة The Near East ١٦/٢/١٩١٢ في فلسطين مطالعة الفلاحين الصحف باهتمام بالغ ووجد ذلك دليلا على شغف السوريين عموما بالسياسة .

(٦١) أوردت جويش كرونيكل في أعداد مختلفة (١٩١١/٢/١٠ ، ١٩١١/١١/١٧ ، ١٩١١/٦/١٦) أخبار الاشتباكات في منطقة الجليل وطبرية ومرج ابن عامر وزعمت أن اليهود يقومون تحت « وطة العرب المتعصين » وفي تقرير فنصل بيروت البريطاني في تشرين الثاني ١٩١١ الى لوثر اشارة الى معارضة الفلاحين للتدفق المستمر لليهود الاجانب لانه يهدد حقوقهم الخاصة .

Golomb, E., The History of Jewish self defence in Palestine, 1878-1921, (٦٢) Tel-Aviv (N.D.), p.7.

Waters, M., Haganah, the Story of Jewish self defence in Palestine, (٦٣) London, 1947, p. 13.

(٦٤) رسالة من روبن بالانانية الى اللجنة التنفيذية الصهيونية في ٢٣/٥/١٩٠٩ ، ملحق لمقال : Alsberg, P.A. The Arab question in the Policy of the Zionist Executive before the First World War (Hebrew) Shivat Zion vol. 4 1956-57.

(٦٥) مقال Warburg رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية نشرته جويش كرونيكل في ١٨/١٠/١٩١٢

(٦٦) تعددت شكاوى الحاخام باشي لدى الباب العالي للتدخل لدى السلطات المحلية لحماية المستوطنات (مثال ذلك اشتباكات اهالي قرية زرنوقة ومستعمرة رحوبوت (فلسطين ١٢/٨/١٩١٢)

(٦٧) كانت زيارة عدد من الكتاب السوريين الى فلسطين في تلك الاونة كفيلا باعطائهم عن قرب حقيقة ما يجري ، مثال ذلك مشاهدات جرجي زيدان التي نشرها في الهلال ، نيسان ١٩١٤ عن « فلسطين آثارها وتاريخها وأحوالها » ص ٥١٥ الى ٥٢٠ ، ومقال ابراهيم سليم نجار في الاهرام ٩ و ١٠ نيسان/ابريل ١٩١٤ « الاسرائيليون في فلسطين » .

(٦٨) طرحت فكرة التفاهم على صفحات جريدتي الاهرام والمقطم ودارت مراسلات بشأنها بين ١٩١٢ و ١٩١٤ . انظر مقال خيرية قاسمية : مواقف عربية من التفاهم مع الصهيونية في مجلة شؤون فلسطينية ، بيروت العدد ٣١ . وايضا مقال :

Roi, Y., The Zionist Attitude to the Arabs, 1908-1914, Middle Eastern Studies, vol. 4, No. 3, April 1968.

وكان اتجاه الرأي العام في فلسطين بوجه عام يمر عن رفض مطلق لدعوى التقارب ، انظر مثلا (الكرمل ١٧/٤/١٩١٤ ، ٢/٦/١٩١٤ ، فلسطين ٦/٦/١٩١٤ ، مرآة الغرب ٢١/٧/١٩١٤ ، اقدام ٧ و ١٤/٦/١٩١٤) وكذلك عبرت جماعة العربية الفتاة عن رفضها لفكرة الاتفاق حتى دون شروط كما كتب محمد الحمصاني في فتى العرب ٦/٦/١٩١٤ يقول : « ان حياة الامم فوق كل نفع مادي ... يفرنا به الصهيونيون » .

(٦٩) تصدرت « فتى العرب » في بيروت ، والعاملون فيها هم من مؤسسي جمعية العربية الفتاة ، للصحف الأخرى التي تدافع عن الصهيونية في مقال بتاريخ ١٩١٤/٤/٧ فقالت : « فتى العرب لا ترى من وسيلة للوقوف في وجه التيار الصهيوني إلا بتقوية الروح القومية في النفوس ... فالقومية التي تخلق القوة ، وتدفع إلى تأليف النقابات المالية والعصابات السياسية والاقتصادية لاتقاء هذا الخطر ، وهي السلاح الوحيد الذي تجاربهم به . والذين يحاولون نزع هذا السلاح إنما يريدون أن يلقونا عزلا إلى ساحة الوغى » .

(٧٠) المنار آذار ١٩١٤ مجلد ١٧ ، ج ٤٩ ، ص ٣١٩ - ٣٢٠

(٧١) نشر المحمصاني المقال في جريدة الأقدام (القاهرة) ١٩١٤/٨/١ ، وكان لا يزال يواصل كتابة سلسلة مقالاته حول الحركة الصهيونية في فتى العرب .

(٧٢) مقال « الحقيقة في أرض إسرائيل » ورد في كتاب .

Cohen, A., Israel and the Arab World, ibid, p. 70

Ruppin, A., Three Decades of Palestine, Tel Aviv, 1936, pp. 35-36. (٧٣)

Sereni, E., and Ashery, R.E., Jews and Arabs in Palestine, New York, 1936, p. 59. (٧٤)

Cohen, A., Israel and the Arab World, ibid, p. 14. (٧٥)

(٧٦) ردت جريدة فلسطين على هذه الدعاوى في مقال بتاريخ ١٩١٢/١٢/٧ « ... أننا لانضمر في قلبنا بغضا لامة من الأمم ولا ينوء ضميرنا بحمل طائفة من الطوائف ، أننا نسعى لاسكان الاديان في مكانين شريفيين ألا هما القلوب والمعابد » .

(٧٧) مقال « المعاداة للسامية في تركيا »

Jewish Review, Jan. 1912, pp. 383-385.

(٧٨) كان نسيم ملول من أبرز من تصدى للدفاع عن الحركة الصهيونية في الصحافة العربية في مصر ، وهو يهودي مصري من أصل تونسي . وقد غلغله الدفاع بدعوى التفاهم والمصالح المشتركة ، ونشر كتابه « اسرار اليهود » للدفاع عنهم . وانتقل ملول إلى فلسطين كمراسل للمقطم في يافا . وقد لعب دورا كبيرا من قبل المنظمة الصهيونية التي أنشأت لها مكتبا صحفيا في أيلول ١٩١١ يتبع مكتب فلسطين ، مهمته متابعة الصحافة العربية وتهيئة الردود المناسبة وتمويل الصحف المناصرة للصهيونية . وقد ظلت مهمة نسيم ملول مجهولة لدى الصحف العربية رغم الشكوك (فلسطين ٢٢/٨/١٩١٢) وبمناورات استطاع أن ينتسب إلى فرع حزب اللامركزية في يافا من أجل متابعة الحركة العربية عن قرب (أوراق محب الدين الخطيب) .

(٧٩) منها جرائد النصارى ولسان الحال في بيروت ، والنفير في حيفا . وقد فتحت المقطم صفحاتها لبعض الكتاب الصهيونيين الذين تولوا حملة دفاع عن الصهيونية ووضع اليهود ثقتهم فيها .

Auerbach, E., The Jewish out look in Palestine. in Cohen, I. (ed.), Zionist Work in Palestine, p. 172. (٨٠)

(٨١) أول من طرح الفكرة لغوى يهودي هو Epstein في عام ١٩٠٧ في مقال بعنوان « مسألة خفية » في دورية عبرية اسمها Hashiloah تصدر في أوديسا ١٩٠٧ ، وطورت الفكرة فيما بعد . مثال ذلك ما نشرته المظم أيار وحزيران ١٩١٤ في ثلاثة مقالات تحت عنوان « بحث جليل في المسألة الصهيونية زعيم صهيوني يرد على رفيق العظم وبوجب اتفاق العرب والإسرائيليين - » وهي مجموعة من الأحاديث أجراها مراسل المظم في الاستانة

(٨٢) في مقال لرشيد رضا في المنار ج ٢٩ ١٧ آب ١٩١٤ ص ٦٩٧ - ٧٠٨ تعليقاً على ترجمة كتاب أويسكين « البروغرام الصهيوني » يقول : « .. الأبد من المسارعة الى تنظيم وسائل الدفاع .. . انه لا يكاد يوجد شعب من شعوب الأرض غافل عن قوته واستعداده كالشعب العربي ، فقوته واستعداده كامنان فيه كمن النار في حجر الصوان تحت الثلج ، فمن ذا الذي يزيل أو يذيب الثلج عن هذا الحجر الصلب ، وابن مقدحة الحديد التي تقذح النار من هذا الزند . »

Bentwitch, N., England in Palestine, London 1932, p. 11 Weizmann, (٨٣) p. 191, 243

ونقلت الاهرام في ١٩١٧/٦/٤ ، والمظم ١٩١٧/٦/١٥ أخبار المفاوضات في لندن

Stein, L. Balfour Declaration, London 1960. (٨٤)

Jabotinsky, V., Turkey and the War, London 1916, pp. 215, 223, 262. (٨٥)

(٨٦) اعداد متفرقة من مجلة The Near East خلال عام ١٩١٦

Weltmann, S., Germany, Turkey and the Zionist Movement, 1941-1918, (٨٧) The Review of Politics, vol. 23, 1961

Aaronson, A., With the Turks in Palestine, London 1917

وكذلك مراسلات الخارجية البريطانية حول اوضاع اليهود في تلك الفترة تحت رقم : 371/3055

Jeffries, J., Palestine: The Reality, London 1939, p. 209 (٨٨)

F.O. 882/26 Arab Bulletin. 12.1.1917 (٨٩)

F.O. 882/14 Arab Papers. vol. 18, p.pa/7/2 (٩٠)

Jeffries, p. 211 (٩١)

(٩٢) دليل ذلك الكتاب الذي وضع اثناء الحرب F.O. 822/14 Po/17/6 Arab Bureau Papers

Sacher (ed.) Zionist and the Future of the Jews, London 1916 (٩٣)

عبر احدهم لكتاب المذكرة فقال : « لو ان اليهود اخلوا بلدنا أين يذهب ؟ »

F.O. 882/14 Pa/17/2 Arab Bureau Papers

(٩٤)

(٩٥) حول موقف الفئات السودية في مصر خلال الحرب يمكن مراجعة كتاب

Storrs, R, Orientations, London, 1937, p. 412

وكان ستورز السكرتير الشرقي في السفارة البريطانية

Kedourie, p. 47 ff.

(٩٦)

(٩٧) اعداد متفرقة من الاهرام والمقطم خلال عام ١٩١٥

(٩٨) الاهرام ١٩١٥/٦/٢٥ مقال كامل مندور (صاحب جريدة الراي العام البيروتية) وعنوانه « لماذا يجب الا تعطى فلسطين للصهيونية » . وفي الاهرام ١٩١٥/٦/٢٩ جاء الرد الصهيوني بعنوان « لماذا يجب ان تعطى فلسطين للصهيونية » .

(٩٩) ١٨ شوال ١٣٣٤ وكان محب الدين الخطيب براس تحرير « القبلة » وعنوان المقال (نحن واعدائنا)

Leslie, Sh., Mark Sykes, his life and etters, London 1923, p. 288

(١٠٠)

F.O. 822/14 Mis 16/15 Arab Bureau Papers

(١٠١)

(١٠٢) من هؤلاء ماسترمان Mastermann احد الذين ملوا في صندوق استكشاف فلسطين قبل الحرب وكتب مقالا في المجلة الجغرافية نقلته The Near East في ١٩١٧/٤/١٦ استمده من تجربته الشخصية في فلسطين

Kedourie, pp. 79-86

(١٠٣)

يسهب المؤلف في وصف افكار سايكس « المثالية » حول القوميتين اليهودية والعربية وآمالها في المستقبل

(١٠٤) برقية سايكس الى الخارجية في ١٩١٧/٤/٣ رقم

F.O. 371/3053/88954/84173 F.

Leslie, p. 268.

(١٠٥)

Hourani, A., Arabic thought in the liberal age 1798-1939, Oxford 1962, p. 290

(١٠٦)

Storrs, p. 410.

(١٠٧)